القرآن لم يحدد زمن القصة ولا مكانها!

قصر قارون.. الذي خسف الله به الأرض!

حينما نتطرق إلى قصص القرآن الكريم نستذكر الحوادث الواقعة وأحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة كما أخبرنا بها الله في كتابه العزيز، فقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم وحكى صورة ناطقة لما كان يدور في هذه العصور، والمغزى من ذلك قوة التأثير في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق، فهناك قصص عرضت بالكامل في سورة واحدة وأخرى عرض جزء منها في سورة والآخر في سورة أخرى.

فقد بين الله لنا أصول الدين المشتركة بين جميع الأنبياء. فهذه القصص ليست مفتراة بدليل وجود أمثالها بين الناس، ففيها الحكم والعبر ونستفيد منها الكثير.

وبعد ما ذكرناه، نترككم كي تعايشوا هذا الجو القصصي في حلقات رمضانية متتالية، سيتم نشرها تباعا لكي نستفيد من مغزاها والدروس المستفادة منها، وتكون خير معين لنا في فهم ديننا وإيصاله للناس بالصورة الصحيحة وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى إنه نعم المولى ونعم النصير.

- مفاتيح الحجرات التي تضم كنوز قارون كان يصعب على الرجال الاشداء حملها
- العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال وهو المنهج السليم الذي لم يهتد إليه
- القدرة الإلهية تتدخل لتضع حدا للفتنة فيجيء العقاب حاسما وخسف الله بداره الأرض

قصر منسوب إلى قارون

يروي لنا القرآن قصة قارون، وهو من قوم نبي الله موسى. لكن القرآن لا يحدد زمن القصة ولا مكانها. فهل وقعت هذه القصة وبنو إسرائيل وموسى في مصر قبل الخروج؟ أو وقعت بعد الخروج في حياة موسى؟ أم وقعت في بني إسرائيل من بعد موسى؟

يحدثنا الله عن كنوز قارون فيقول سبحانه وتعالى إن مفاتيح الحجرات التي تضم الكنوز، كان يصعب حملها على مجموعة من الرجال الأشداء. ولو عرفنا عن مفاتيح الكنوز هذه الحال، فكيف كانت الكنوز ذاتها؟!

لكن قارون بغى على قومه بعد أن آتاه الله الثراء. ولا يذكر القرآن فيم كان البغي، ليدعه مجهلا يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، وربما بغى عليهم بغير هذه الأسباب.

ويبدو أن العقلاء من قومه نصحوه بالقصد والاعتدال، وهو المنهج السليم. فهم يحذرونه من الفرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نسيان من هو المنعم بهذا المال، وينصحونه بالتمتع بالمال في الدنيا، من غير أن ينسى الآخرة، فعليه أن يعمل لآخرته بهذا المال.

ويذكرونه بأن هذا المال هبة من الله وإحسان، فعليه أن يحسن ويتصدق من هذا المال، حتى يرد الإحسان بالإحسان. ويحذرونه من الفساد في الأرض، بالبغي، والظلم، والحسد، والبغضاء، وإنفاق المال في غير وجهه، أو إمساكه عما يجب أن يكون فيه. فالله لا يحب المفسدين. فكان رد قارون جملة واحد تحمل شتى معاني الفساد (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي). لقد أنساه غرورَه مصدر هذه النعمةَ وحَكمَتها، وفتنه المال وأعماه الثراء. فلم يستمع قارون لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه.

وخرج قارون ذات يوم على قومه، بكامل زينته، فطارت قلوب بعض القوم، وتمنوا أن لديهم مثل ما أوتي قارون، وأحسوا أنه في نعمة كبيرة. فرد عليهم من سمعهم من أهل العلم والإيمان: ويلكم أيها المخدوعون، احذروا الفتنة، واتقوا الله، واعلموا أن ثواب الله خير من هذه الزينة، وما عند الله خير مما عند قارون.

وعندما تبلغ فتنة الزينة ذروتها، وتتهافت أمامها النفوس وتتهاوى، تتدخل القدرة الإلهية لتضع حدا للفتنة، وترحم الناس الضعاف من إغرائها، وتحطم الغرور والكبرياء، فيجيء العقاب حاسما (فَخَسَفْنَا به وَبِدَارِه الْأَرْضَ) هكذا في لمحة خاطفة ابتلعَتْه الأرضَ وابتلعت داره. وذهب ضعيفا عاجزا، لا ينصره أحد، ولا ينتصر بجاه أو مال.

وبدأ الناس يتحدثون إلى بعضهم البعض في دهشة وعجب واعتبار. فقال الذين كانوا يتمنون أن عندهم مال قارون وسلطانه وزينته وحظه في الدنيا: حقا إن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويوسع عليهم، أو يقبض ذلك، فالحمد لله أن منّ علينا فحفظنا من الخسف والعذاب الأليم. إنا تبنا إليك سبحانك، فلك الحمد في الأولى والآخرة وكان سبب معجزة المولى وعطيته الخاصة لقارون يعود إلى طلب قارون نفسه من سيدنا موسى أن يدعو له بأن يرزقه مالاً وفيراً فمن الله عليه بهذه النعمة التي أجحدها بعد ذلك.

ويوجد قصر قارون الذي خسف به الله الأرض، إلا بقايا قليلة منه موعظة للعالمين، بأنه كان ابن عمه، وقال ذلك إبراهيم النخعي وكان في الواجهة كما يتضح بالصور كرسي قارون مزخرف بالذهب، وأسفل كرسي العرش حفرة كبيرة مظلمة ممتدة إلى أسفل بعمق 3 أدوار، ويقال إن بها جثة قارون.

وكل شيء في القصر كان من الذهب بالإضافة إلى ملابسه، كما وجدوا في حجرته الواسعة مستندات من ورق البردي كُتبت عليها حسابات وأرقام وتم نقلها للمتحف المصري في القاهرة.. فهل هذه الحسابات هي معادلات كان يستخدمها قارون في تحويل التراب إلى ذهب؟!.

وكان القصر مكوناً من 3 طوابق و336 غرفة، ولم يتبق منه سوى الباب الذي تم إعادة بنائه من الجرانيت، وكان من كثرة الأموال التي أنعم الله بها عليه، كان يجد عصبة القوم من عبيده "أقوى أقوياء قوم قارون" صعوبة شديدة في مجرد حمل المفاتيح التي يتم فتح بها خزائنه الممثلة بالذهب.

على جانبي الكرسي هناك سلمان يوجد في جوانبهما وممرات تفتح خارج المدينة، حتى يستطيع قارون الخروج منها إذا حدث أي هجوم عليه خارج البلاد، أما في الطابق الثاني غرفة الخزائن التي كان يضع فيها الذهب، والثالث مكان العبادة لإلهين مرسومين على الجدار.

وهناك أيضاً بحيرة قارون المطل عليها القصر والتي أصبحت مزاراً سياحياً هي الأخرى إلى أن جاءت ساعة العذاب فخسف الله به الأرض إلا قليل من هذه البقايا لعل الناس تتعظ وتعود إلى ربها، قال الله في كتابة العزيز: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ من قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (79) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (80) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (81) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (82) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)).

أين عاش قارون يُعتبر قارون من أغنياء قوم موسى عليه السلام، حيث كان يمتلك الكثير من الثروات، وكان وزيراً لشؤون العبرانيين لدى فرعون، وعاش قارون في مصر، وورد ذكره في العديد من المواضع في القرآن الكريم، ومنها: سورة العنكبوت، وسورة غافر، وسورة القصص، قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ من قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [القصص: 76]. نسب قارون ورد عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير بأن قارون كان من قوم موسى عليه السلام، وقال أيضاً، وسماك بن حرب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وابن جريج، ومالك بن دينار، حيث قال ابن جريج عنه: هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث، وقال محمد بن اسحاق بن يسار بأن قارون هو عم سيدنا موسى، وذكر ابن جرير باتفاق أكثر أهل العلم على كونه ابن عم موسى، أما قتادة بن دعامة فأكد على القول، وأضاف بأنه كان معروفاً باسم "المنوّر"، وذلك لصوته الحسن في قراءة التوراة، إلا أنه نافق كما السامري، فأدى ذلك إلى هلاكه.

الحكمة من قصة

قارون نستنتج من قصة قارون بأن هذه هي النهاية الطبيعية التي يستحقها أي شخص يتعالى على الله تعالى، ويتكبر، ويُصاب بالغرور ناسياً بأنه عز وجل هو الذي أنعم عليه بهذه النعم ليتمتع بها في الدنيا، ويُحسن بها إلى الفقراء لكي يكسب الآخرة لا أن يتعالى على من لا يملكون المال مثله، فبإمكان من أغناه أن يقبض منه كل شيء بلمح البصر.

أين عاش قارون

يُعتبر قارون من أغنياء قوم موسى عليه السلام، حيث كان يمتلك الكثير من الثروات، وكان وزيراً لشؤون العبرانيين لدى فرعون، وعاش قارون في مصر، وورد ذكره في العديد من المواضع في القرآن الكريم، ومنها: سورة العنكبوت، وسورة غافر، وسورة القصص، قال تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ من قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) [القصص: 76].

مكان كنوز قارون

في يوم من الأيام خرج قارون على قومه بزينته كاملة، ففُتن الناس بهذا الثراء ورقّت قلوبها، وتمنّى بعضهم أن يمتلكو ما يمتلك قارون، فالله سبحانه وتعالى خشي على عباده من هذه الفتنة فانتقم لهم. خسف الله سبحانه وتعالى الأرض بقارون وماله وبيته لما تجبّر وطغى وتكبّر، وفتن الناس في قومه، وأنكر فضل الله سبحانه وتعالى عليه، فانشقت الأرض وابتلعت أمواله وبيته وخزائنه وأصبح بعد ذلك ضعيفاً وفقيراً، وهكذا ينتصر الله سبحانه وتعالى للناس من كل جبّار وظالم، فقارون تجبّر في الأرض وظلم أبناء قومه ونسي أنّ عقاب الله شديد، فتعجّب الناس وخافوا من عقاب الله تعالى، كانوا يتمنّون الحصول على مال قارون وبعد ذلك شكروا الله على نعمه وتضّرعوا بالدعاء إلى الله بأن يحميهم من الخسف والعذاب.

معلومات غير معروفة

قصر قارون يقع في الطرف الجنوبي الغربي لبحيرة قارون بمحافظة الفيوم، جنوب غربي مصر، يقال عنه إنه القصر الخاص بقارون الذي ذكر اسمه في القرآن وخسف الله به الأرض.

المعلومات التي يرددها أهالي المنطقة تؤكد أن البحيرة المجاورة للقصر كانت ضمن محيط القصر لكن الله خسف به الأرض، القصر يتواجد به 3000 غرفة، ومن يدخله يتعرض للتيه وربما الصدمة ويخرج فاقدا عقله، لكن علماء الآثار و التاريخ المصريين يؤكدون أن كل تلك المعلومات غير حقيقية، وأن قصر قارون الحقيقي كان يقع في منطقة نينوى بالعراق.

المصريون القدماء أطلقوا عليه قصر قارون لوجوده بالقرب من بحيرة قارون المجاورة له، والتي تم تسميتها بهذا الاسم لكثرة القرون والخلجان بها فأطلق عليها في البداية بحيرة القرون، وحرفت إلى بحيرة قارون، وبالنسبة للعدد الكبير من الغرف في القصر فقد كانت تستخدم لتخزين الغلال واستخدامات كهنة المعبد في هذا الوقت.

لكن ما هي حكاية هذا القصر؟

الدكتور عبدالرحيم ريحان، الخبير الأثري، يكشف لـ" العربية.نت" حقيقة قصر قارون بالفيوم وقصة التيه في 3000 غرفة تحت وفوق الأرض.

ويقول إنه وفق دراسة أثرية لعالم المصريات ومدير مركز الدراسات القبطية بمكتبة الإسكندرية الدكتور لؤي محمود سعيد فإن هناك معلومات عن شخصية قارون وبحيرته بالفيوم وعلاقة أمنمحات الثالث بشخصية قارون.

ويقول إن المؤرخ الإغريقي هيرودوت زار بحيرة قارون بالفيوم في القرن الخامس قبل الميلاد، بعد أن سمع ادعاءات أن قارون هو الملك المصري أمنمحات الثالث، فسأل مرافقيه عن مكان الردم الذى خرج عند حفر بحيرة موريس وهي بحيرة قارون حاليا، خاصة أن معلوماته السابقة تؤكد أن قصر قارون وقصته وقعت في المدينة الآشورية نينوى عاصمة آشور.

وقال إن هيرودوت ومعلوماته التاريخية تؤكد أن ملك نينوى وكان يدعى "أبولو" كان يمتلك أموالًا طائلة محفوظة في كنوز تحت الأرض.

ويضيف د. ريحان من خلال الدراسة نكتشف أن هيرودوت ربط بين القصتين في نينوى وبحيرة موريس في الفيوم عن كيفية وصول اللصوص للكنز عن طريق الحفر تحت الأرض ولذلك سأل عن الردم المستخرج من حفر البحيرة، وتبين أن تلك المعلومات وأن من روجها هم اليهود خلال تواجدهم في مصر، حيث ربط اليهود قصة حفر البحيرة وقصة قارون المذكور في القرآن الكريم وهي نفسها قصة قورح المذكرة في التوراة مع الاختلاف بين الشخصيتين، وأشاعوا أن القصر هذا لقارون المذكور في القرآن وقورح المذكور في التوراة.

وقال إن شائعات اليهود هي من أنتجت فكرة أن المعبد الجنائزي وهو القصر المعروف باللابيرانت والخاص بالملك أمنمحات الثالث هو قصر قارون وبالتالي فإن أمنمحات الثالث هو قارون وهذا غير صحيح.

ويشير خبير الآثار إلى أنه من خلال سفر الخروج فإن شخصية "قورح" هي قورح من سبط لاوي بن يعقوب" والذي تزعم التمرد على نبي الله موسى وهارون فعاقبه الرب بأن انشقت الأرض وابتلعت كل جماعة قورح وبيوتهم وكل ما كان مع قورح.

ويوضح د. ريحان أن هيرودوت وصف القصر باحتوائه على 1500 حجرة فوق الأرض وعددًا مماثلًا تحت الأرض ويحتاج إلى مرشد لدخول هذه المتاهة مما ساهم في تعميق هذه الفكرة، مضيفا أن مدينة الفيوم اشتق اسمها من الاسم المصري القديم لإقليم الفيوم "شدت" وتعنى الجزيرة، وكانت تقع عند تأسيسها في بحيرة موريس الشهيرة التي أسسها قدماء المصريين، وعرفت في اللغة المصرية القديمة باسم موريس أي البحر العظيم، ولأن هذه البحيرة كانت مليئة بالتماسيح اتخذ أهل الإقليم سو بك معبوداً لهم، وكان يصور على هيئة تمساح أو هيئة آدمية برأس التمساح لذلك كانت تعرف باسمها الدينى "بر سوبك"، أي مدينة التمساح.

ويضيف أن تسميتها بالفيوم يرجع إلى أنها اشتقت كذلك من الاسم القبطى "بيوم يعنى" قاعدة البحيرة" وقد حرفت فيما بعد إلى فيوم ثم أضاف إليها المسلمون أداة التعريف لتصبح الفيوم، وأما الاسم المعاصر للبحيرة وهو" قارون"، وهي جزء من بحيرة موريس القديمة فهو إشارة صريحة لشخص قارون الذي ذكر في القرآن الكريم لكنها ليست الموقع الجغرافي لقصة قارون. ويقول ريحان إن الملك أمنمحات الثالث وكما تشير البرديات العلمية والأدبية عنه فهو أشهر ملوك الأسرة الثانية عشرة، وكان له نشاط عسكري وتجاري واستصلاح أراض، يشهد عليه الهرم المسمى باسمه ومعبده الجنائزي في هواره وهرمه في دهشور، وقد نال بعد وفاته تقديساً في منطقة هوارة واستمر ذلك حتى العصر الروماني.

القصر من الداخل

إحدى غرف القصر

البحيرة التي غرق بها القصر

جانب اخر للقصر